عبادة الدعاء

بداية أحب أن أسأل: هل هناك أحد ليس عنده مشاكل؟! أو هل هناك أحد ليس عنده آمال يسعى لتحقيقها؟! هل هناك أحد يستطيع أن يستغني عن ربه جل وعلا؟!، هل هناك أحد لم يرتكب ذنباً ولا يخاف أن يؤاخذه الله عز وجل على هذا الذنب؟ هل هناك أحد يستطيع أن يستغني عن رحمة ربه سبحانه وتعالى؟! هل هناك أحد يستطيع أن يستغني عن هداية وتوفيق الله تعالى؟!

ولاشك أنه أشرف للمسلم الموحد بالله أن يرفع يديه إلى ربه جل وعلا وأن يلح عليه ويسأله.. فهذا أفضل من أن يدعو غير الله أو يسأل غير الله تعالى: وإلا فإلى من يلجأ المسلم إن لم يلجأ إلى الله تعالى خالقه ورازقه ومحييه ومميته.. سبحانه وتعالى؟! هل سيذهب إلى الناس الضعفاء الفقراء؟! ليس من المعقول أن يتعلق غريق بغريق مثله! وليس معقولاً أن يلجأ فقير إلى فقير، أو ضعيف إلى ضعيف مثله!! وقد صدق

النبيﷺ إذ يقول: «**من لم يسأل الله يغضب عليه**»[1]. وصدق الشاعر الحكيم الذي قال:

لا تسألن بُنَيَّ آدم حاجة وسل الذي أبوابه لا تُحجب
فالله يغضب إن تركت سؤاله وبُنيُّ آدم حين يُسأل يغضب

نعم.. الله يغضب إذا لم يسأله العبد، والعبد يغضب إذا سأله العبد!! والخلق كلهم فقراء إلى الله الغني مالك الملك الذي يقول في كتابه الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: 15] أيها الناس جميعاً: كلكم فقراء إلى الله.. كلكم بلا استثناء؛ يستوي في ذلك الحاكم والمحكوم والخفير والوزير.

ويقول سبحانه: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ۖ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: 26]. فإذا كان الله هو مالك الملك وهو الذي يعطي ملكه من يشاء من عباده وينزعه عمن يشاء.. ويعز من يشاء ويذل من يشاء.. فهل يصح لعبد أن يسأل غير الله تعالى؟!.

ويقول عز وجل في الحديث القدسي: «**يا عبادي: كلكم**

(1) رواه الترمذي (الحديث: 3373).

ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم»[1]. يا من يريد الهداية اسأل الله تعالى أن يهديك وألحّ عليه في هذا السؤال، ولا تنس أن الحبيبﷺ كان يسأل ربه الهدى قائلاً: «**اللهم إني أسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى..**»[2].. وهل يصح أن يأمرنا الله بأن نسأله الهداية ولا يجيبنا سبحانه؟! بالطبع كلا.. فهو الذي يعد ويفي لأنه على كل شيء قدير.

«**يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم**».. إنكم يا عبادي لا تملكون حتى الملابس التي تلبسونها.. فاسألوني أن أكسوكم وأنا أكسوكم.

«**يا عبادي.. كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم**».. تأمل يا أخي.. الله جل جلاله في عليائه يأمرك أو يوجهك وينصحك أن تسأله أن يطعمك فهل سألت الله مرة قائلاً: اللهم أطعمني من جوع..

لقد امتن الله تعالى على العرب أو القرشيين بأنه سبحانه ﴿أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ﴾ [قريش: 4].

وكان من ثناء خليل الله على ربه عز وجل أن قال: ﴿وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾﴾ [الشعراء: 79] «**يا عبادي:**

(1) رواه الترمذي (الحديث: 2495) وابن ماجه (الحديث: 4257).

(2) رواه مسلم (الحديث: 6842، 6843) ورواه الترمذي (الحديث: 3489) والإمام أحمد (الحديث: 1/ 416).

إنكم تخطئون بالليل والنهار.. وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم.. يا عبادي: إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.. يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً. ولو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.. يا عبادي: لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد (أي في مكان واحد) **فسألوني، فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك من ملكي، إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر»!**

سبحان الله!! لو أن كل البشر؛ هذه المليارات من الناس اجتمعت في مكان واحد وسألت ما تشاء ـ ولو ترى أن ذلك مستحيل ـ وأعطي كل واحد منهم ما سأل ما نقص ذلك في ملك الله إلا كما تنقص الإبرة إذا أدخلت في البحر!! وهل ينقص المخيط من البحر شيئًا؟!

«يا عبادي.. إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها.. فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه»[1]**!!**

بعد كل هذا.. هل ندعو الله أم لا؟! إن الله تعالى يناديا

(1) رواه مسلم (الحديث: 6517) وابن ماجه (الحديث: 4257).

في هذا الحديث العظيم نداءً رقيقاً رفيقاً ويعيده كثيراً: يا عبادي!! ويأمرنا بأن نسأله كل ما نريد من هداية وطعام وكساء وغفران.. إلخ والله عز وجل يحب عبده الذي يلح عليه في الدعاء.. ويقول ﷺ: «**إن الله لا يمل حتى تملوا**»[1].

وهناك سؤال قد يجول بخاطر البعض: كم أنفق الله تعالى على خلقه منذ أن خلق آدم حتى الآن؟! كم من الأمطار وكم من الزروع وكم من الثمار؟! كم من الحيوانات ؟ كم من الطعام؟ كم؟كم؟.. إن «**لحم أكتافنا**» كما يقولون ليس من خير آبائنا أو أمهاتنا، إنما من خير وعطاء وفضل الله تعالى!! فهو وحده المعطي وهو وحده المانع!!

ومن أسماء الله تعالى «**الكريم**» فهو يعطي من غير أن يُسأل!! فكيف إذا سئل؟!.

وقد روي أن رجلا أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله: أبعيد ربنا فنناديه أم قريب فنناجيه؟! فنزل الجواب من فوق سبع سمٰوات من قبل الخالق جل وعلا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: 186] لا إلٰه إلا الله.. إن الله تعالى لم يترك نبيه ﷺ يجيب على أصحابه ولو تركه لأجاب وأحسن الإجابة.. ولكنه سبحانه تولى الإجابة بذاته

(1) رواه البخاري (الحديث: 730) ومسلم (الحديث: 1824).

العلية من فوق سمواته السبع وكرسيه وعرشه.. وقال سبحانه: (عبادي) وفي الكلمة تعطف وتكرم من الله الكريم، حيث نسب العباد إليه حتى لو كانوا عصاة أو مذنبين. ثم قال: ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾.. فلم يقل دعوة المؤمن أو المحسن بل الداعي، وفي هذا فتح لأبواب عطائه وكرمه تعالى.

ولو تأملنا السياق القرآني نجد أن الله تعالى أمر نبيه بقوله: قل أو فقل، وذلك عندما يسأله قومه عن شيء ما فيقول سبحانه: ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ﴾ [البقرة: 189] ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: 217] ﴿يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ﴾ [الأنفال: 1] أما عندما كان السؤال عن قرب الله أو بعده فكانت الإجابة بغير (قل)، لأن الصلة مباشرة بين الله وعبده، فكانت الإجابة أيضا مباشرة بلا واسطة!!

ويقول سبحانه: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: 60]. إذا كان الله تعالى يأمرنا بالدعاء ويعدنا بالاستجابة.. فلماذا لا ندعوه سبحانه؟! ولماذا نعرض عنه؟!

هل نستطيع أن نستغني عنه سبحانه طرفة عين؟! ويقول سبحانه ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: 55] أي ذلاً ومسكنة.. وهذا ربنا عز وجل يتحدث عن سيدنا زكريا فيقول عنه: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾ [مريم: 3] ..والاخفاء فيه إخلاص أكبر وأدب مع الله وصفاء نفسي

وحضور قلب وبكاء عين، وكل هذا أدعى للقبول بإذن الله.

أحاديث في فضل الدعاء:

وهناك أحاديث كثيرة في فضل الدعاء وآدابه.. يقول ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»[1]، وقد يسأل سائل: وأين الصلاة والصوم والزكاة..؟ والإجابة أن كلمة عبادة مشتقة من العبودية.. والعبودية معناها الذل والمسكنة لله تعالى.. فالعبد فقير مسكين إلى الله محتاج لمولاه في كل لحظة، وقد عبر عن ذلك أحد الشعراء بقوله:

أنا الفقير إلى رب البريات ... أنا المسكين في مجموع حالاتي
لا استطيع لنفسي جلب منفعة ... ولا عن النفس لي دفع المضرات
والفقر لي وصف لازم أبداً ... كما الغنى أبداً وصف له ذاتي

ولما كان الدعاء والتضرع صورة من صور التذلل والخضوع والتعبد لله، صار الدعاء عبادة لله تعالى.

وفي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: 60] نجد أن الله تعالى قال: ﴿يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي﴾ ولم يقل: عن دعائي، وبهذا صارت العبادة مرادفاً للدعاء.

(1) رواه أبو داود (الحديث: 1479) والترمذي (الحديث: 2969).

والذي لا يدعو ربه يعد مستكبراً لأنه استنكف أن يرفع يديه إلى خالقه وبارئه ورازقه ومحييه ومميته ومطعمه وكاسيه.. سبحانه وتعالى.. وأنا أعجب أن يمر يوم أو يومان أو أكثر ولا يرفع العبد يديه لله!! لمن إذن سيرفعهما؟! وإلى من يتوجه بالدعاء!! إن الله جل وعلا هو الذي يفرج الكربات.. وقد فرج كرب الأنبياء عندما دعوه ولجأوا إليه، وعبر عن ذلك أحد الأدباء بقوله:

يا من أجاب نوحاً فانتصر وحملْتَه في فلكك المشحونِ
يا مَنْ أحالَ النارَ حَوْلَ خليلِهِ روحاً وريحاناً بقولِكَ كوني
يا مَنْ أمرْتَ الحوتَ يلفظُ يونساً وحَمَيتَه بشُجَيرة اليقطينِ
يا ربِّ إنا مثله في كُرْبةٍ فارْحَمْ عِباداً كلهم ذو النونِ

والعبد عندما يسأل خالقه ورازقه تبارك وتعالى يشعر بنوع من الفرح والسعادة، لأنه سأل غنياً واسعاً مجيباً كريماً.. وما أجمل أن يسأل العبد ربه جل وعلا قائلاً: يا رب، أنا الفقير إليك، أنا المحتاج إليك .. خذ بيدي يا الله.. اهدني.. أعني.. وفقني.. وسع رزقي.. ويدعو بما يشاء.. وما عند الله أكبر.. وإياك أن تسأل أحداً غير الله تعالى، فإن في ذلك خضوعاً وذلاً لغير الله.. والمسلم لا يخضع ولا يذل إلا لربه سبحانه:

لا تخضعن لمخلوق على طمع فإن ذلك نقص منك في الدين

لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة إلا بإذن الذي سوّاك من طين
ولا تصاحب غنياً تستعز به وكن عفيفاً وعظم حرمة الدين
واسترزق الله مما في خزائنه فإن رزقك بين الكاف والنون!!

وهذا سيدي وسيدك وسيد ولد آدم جميعًاﷺ يقول: «**ليس شيء أكرم من الدعاء**»[1]. والمسلم يسأل ربه من خيري الدنيا والآخرة معاً.. وقد كان أكثر دعاء النبيﷺ: «**ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار**»[2].

فالذي يلزم الدعاء لا يهلك بإذن الله.. وينبغي للمسلم أن يحسن ظنه بالله تعالى.. فالله عند ظن عبده به.. فثق أن الله تعالى كريم يجيب دعوة الداع ويفرج كربه ويستر عيبه ويغفر ذنبه وإلا فمن يفعل ذلك سواه؟!

ويقولﷺ: «**إن الله تعالى حييّ كريم، يستحي أن يرفع العبد يديه ثم يرده صفرًا خائبًا**»[3].. فكيف لا يستحيي العبد من الرب، والرب يستحيي من العبد؟!

(1) رواه الترمذي (الحديث: 3370) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 362).
(2) رواه أبو داود (الحديث: 1892) والإمام أحمد (الحديث: 3/ 411).
(3) رواه أبو داود (الحديث: 1488) والترمذي (الحديث: 3556).

نماذج من إجابة الله
لمن يدعوه من القرآن العظيم

* **سيدنا نوح** عليه السلام :

لقد عادى قوم نوح سيدنا نوح عليه السلام.. وسخروا منه.. وأعرضوا عن دعوته، فلم يجد أحدًا يلجأ إليه إلا الله تعالى.. ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.. يدعو ربه بأنه غُلب هو والقلة المؤمنة من الكثرة الكافرة. فماذا كانت الإجابة؟! اقرأ قوله تعالى: ﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾﴾ [القمر: 11 ـ 12] من أعلى ومن أسفل أتت المياه فالتقى ماء السماء بماء العيون التي فجرها الله تعالى.. وغرق الكافرون ونجا نوح ومن معه من المؤمنين ﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [هود: 40].

* **سيدنا زكريا** عليه السلام :

حرم سيدنا زكريا الولد، وكانت امرأته عاقراً لا تلد.. وعندما كبر سنه ووهن عظمه وشاب رأسه، حزن ألا يكون له

ولد يرث النبوة والرسالة والدعوة إلى الله وهداية الناس فدعا ربه تعالى: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾ [الأنبياء: 89].. فماذا كانت الإجابة؟! قال تعالى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يَحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: 90].

* سيدنا سليمان عليه السلام:

آتى الله آل داود عليهم السلام ملكاً عظيماً.. وكان سليمان عليه السلام ملكا نبياً أعطاه الله ملكاً عظيماً وجاهاً عريضاً وسخر له الجن والرياح وغيرهما مما خلق الله تعالى.. وحدث لسليمان عليه السلام نوع من الابتلاء فدعا ربه تعالى: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّن بَعْدِيٓ﴾ [ص: 35]. فاستجاب الله تعالى دعاءه ولم يؤت أحداً بعده، مثل ما أتاه من ملك عظيم وجاه عريض.. بل إن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما جاء في الحديث الصحيح ـ أمسك بجني ذات مرة.. وقال: «**لولا دعوة أخي سليمان لربطته بسارية المسجد وجعلته عبرة يلعب به الصبيان**»[1].. أو كما قال صلى الله عليه وسلم.

* دعوة سيدنا إبراهيم عليه السلام:

نزل سيدنا إبراهيم عليه السلام في صحراء جرداء خالية لا زرع فيها ولا ضرع، وبها أسكن زوجته وذريته كما أمره ربه تعالى،

(1) رواه الإمام أحمد (الحديث: 3/ 83).

ودعا ربه سبحانه ﴿رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [البقرة: 126] فاستجاب الله تعالى دعاءه وجعل مكة وما حولها أرضاً مباركة يأتيها رزقها من كل مكان.

* **سيدنا أيوب** عليه السلام:

ابتلى الله تعالى سيدنا أيوب عليه السلام في جسمه، حتى لم يبق إلا قلبه ولسانه يذكر بهما الله تعالى، ولما اشتد به البلاء، لم يجد أحداً يدعوه سوى الله تعالى. وما منعه من التعجيل بالدعاء سوى الحياء من الله تعالى وقال سبحانه: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [الأنبياء: 83] يقول سبحانه موضحاً سرعة استجابته لعبده ونبيه الكريم: ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ فَكَشَفْنَا مَا بِهِۦ مِن ضُرٍّ..﴾ [الأنبياء: 84].

سيد البشر محمد صلى الله عليه وسلم:

إليكم هذه القصة المباركة التي تبين استجابة الله تعالى لدعاء نبيه وحبيبه محمد صلى الله عليه وسلم.. وهي واحدة من عشرات الأحاديث الواردة في هذا المجال:

أم سيدنا أبي هريرة (رضي الله عنه) كانت كافرة تأبى الإسلام وتسب النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو هريرة رضي الله عنه: يا رسول الله.. ادع الله أن يهدي أمي.. فقال صلى الله عليه وسلم: «**اللهم اهد أم أبي هريرة وأشرح صدرها للإسلام**» أو كما قال صلى الله عليه وسلم، فاستبشر

أبو هريرة رضي الله عنه بدعاء النبيﷺ. ولنسمع هذا الصحابي الكريم يروي بقية القصة أو الواقعة.. يقول: وعدت إلى أمي فدخلت عليها، فقالت: يا أبا هريرة، فقلت (في نفسي): إنها ستسبني فقلت: لبيك، فقالت: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله. فضحكت حتى بكيت، فعدت إلى رسول اللهﷺ مسرعاً وأنا أبكي من الفرح وقلت: يا رسول الله: أبشر، فقد أجيبت دعوتك، فقالﷺ: «**الحمد لله**»، ثم قال أبو هريرة رضي الله عنه: ادع الله أن يحببني أنا وأمي إلى المؤمنين ويحبب المؤمنين إلينا.

وانظر إلى هذا الدعاء العظيم، إنه لم يسأله أن يدعو الله بمال أو جاه.. إلخ. إنما سأله أن يدعو الله أن يحبه المؤمنون وأن يحب المؤمنين، فقال النبيﷺ: «**اللهم حبب عبدك هذا وأمه إلى المؤمنين**»، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: فلم يسمع بهذا أحد أو يراني إلا أحبني[1].

وانظر يا أخي إلى شفقة هذا الصحابي الكريم على أمه وحرصه على هدايتها ودخولها الإسلام.. ولاحظ أن النبيﷺ لم يسأل أبا هريرة رضي الله عنه عن اسم أمه حتى يدعو لها، كما يفعل البعض الآن.

(1) رواه مسلم (الحديث: 6346) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 320).

الدعاء عند الكرب:

في غزوة بدر، ولما نظر النبيﷺ إلى عدد المسلمين ورأى قلته بالنسبة للمشركين (314 في مقابل ألف).. وقف النبيﷺ تحت شجرة ورفع يديه إلى الله تعالى وأخذ يلح في الدعاء: «**اللهم أنجز لي وعدك، اللهم نصرك الذي وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة** (أي الفئة المؤمنة من الصحابة الحاضرين بدراً) **فلن تعبد في الأرض..**»[1] وأخذ يبكي ويرفع يديه.. حتى سقط رداؤه من شدة الدعاء: فأشفق عليه الصديق رضي الله عنه قائلا: ارفق بنفسك يا رسول الله، فإن الله منجز لك ما وعدك.. واستجاب الله دعاء نبيه ونصر جنده وعباده المؤمنين.

وحدث مثل ذلك أو قريب منه في غزوة الأحزاب، إذ لما اشتد الحصار وشكا الصحابة إلى رسولﷺ، دعا ربه عز وجل: «**اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا**»[2].. فما هو إلا يوم أو يومان إلا أرسل الله عز وجل ريحاً شديداً خلعت خيام الكفار وقلبت قدورهم.. فعادوا منكسرين أذلاء خاسرين.. وهكذا استجاب الله تعالى دعاء نبيهﷺ.

---

(1) رواه مسلم (الحديث: 4563) والترمذي (الحديث: 3081) والإمام أحمد (الحديث: 1/ 30).

(2) رواه الإمام أحمد (الحديث: 3/ 3).

* دعاء السيدة سارة رضي الله عنها:

عندما قدم سيدنا إبراهيم عليه السلام بزوجه سارة إلى مصر أراد الفرعون أن يعتدي عليها، فلما أمر بها وأُحضرت إليه دعت الله تعالى قائلة: اللهم إني كنت قد أحصنت فرجي إلا على زوجي، فلا تسلط عليّ هذا الكافر، فشُل الرجل، ولم يستطع أن يؤذيها وحماها الله تعالى من مكره وبطشه.. وعاد مرة أخرى وثالثة وفي كل مرة تدعو سارة ربها فيفرج عنها ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: 62].

ويقول التابعي الجليل سفيان الثوري ـ رحمه الله ـ: لا تخف ألا يستجاب لك، مما تخاف على نفسك من السوء، فإن الله قد استجاب لشر الخلق (إبليس لعنه الله) لما قال: ﴿رَبِّ فَأَنظِرْنِىٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الحجر: 36] إذ قال له ربه مجيباً دعاءه: ﴿فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الحجر: 37]، فإذا كان إبليس اللعين قد استجيبت دعوته أفلا تستجاب دعوتك أنت أيها المسكين؟! ولو أردت أن تحصي ما أجاب الله لك من أدعية لعلمت أنها كثيرة كثيرة ولكن قلما نشكر الله تعالى.

واعلم أن الله تعالى يستجيب دعاء عبده المسلم إذا لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، وما لم يتعجل يقول: دعوت فلم يستجب لي. واعلم أن الله تعالى قد استجاب كثيراً من

دعواتك، ربما تتأخر إجابة الدعوة بعض الوقت، والحقيقة أن الله تعالى يجيب دعاءك، ولكن وقتما يريد سبحانه، لا وقتما تريد أنت، ولكن الشيطان ينسيك فضل الله عليك، والمسلم يستشعر نعمة الله عليه وفضله إذا علم أنه سبحانه يجيب دعواته ويكرمه ويوسع عليه ويفرج كربه ويذهب همه وغمه.

obeikandl.com

أوقات وأماكن
يُستجاب فيها الدعاء

1 ـ الثلث الأخير من الليل:

يقول النبيﷺ: «**أقرب ما يكون الرب من عبده في ثلث الليل الأخير**». أفضل وقت للدعاء إذن هو الثلث الأخير من الليل، وهو الثلث الذي ينزل فيه ربنا إلى السماء الدنيا ثم يقول: «**هل من داع فأستجيب له؟ هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟**»[1].

ويقولﷺ: «**إن في الليل ساعة لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله من خيري الدنيا والآخرة إلا أعطاه الله إياه، وذلك كل ليلة**»[2].. فليتنا ـ أيها الإخوة ـ نحيي هذا الشطر من الليل؛ تقرباً إلى الله تعالى وطلباً لرحمته ومغفرته.

---

(1) رواه البخاري (الحديث: 7494) ومسلم (الحديث: 1769).

(2) رواه مسلم (الحديث: 1767).

2 ـ ساعة يوم الجمعة:

يقول النبيﷺ: «**خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة: فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، وفيه هبط إلى الأرض، وفيه تقوم الساعة، وفيه ساعة لا يسأل اللَّهَ فيها عبد مسلم من خيري الدنيا والآخرة إلا أعطاه مسألته**»[1].

والسؤال: أي ساعة هي؟! قيل: من بعد الفجر إلى الشروق، وقيل: قبل صلاة الجمعة مباشرة، وقيل: أثناء خطبة الإمام، وقيل: الساعة الأخيرة من النهار: أي التي تسبق صلاة المغرب.

3 ـ عند السجود:

قالﷺ: «**أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد، فأكثروا من الدعاء وأنتم سجود**»[2]، ولهذا قال الله تعالى لنبيهﷺ: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب﴾ [العلق: 19].. وهناك أدعية كثيرة مأثورة عن النبيﷺ في السجود منها قوله: «**اللَّهم اغفر لي ذنبي كله، دقه وجله، أوله وآخره، علانيته وسره، اللَّهم إني أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك،**

(1) رواه أبو داود (الحديث: 1046) والترمذي (الحديث: 491) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 504).

(2) رواه مسلم (الحديث: 1083) وأبو داود (الحديث: 875) والإمام أحمد (الحديث: 2/ 241).

وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك، أنت كما أثنيت على نفسك.. سبوح قدوس رب الملائكة والروح»[1].. إلخ.

4 ـ بين الأذان والإقامة:

قالﷺ: «**لا يرد الدعاء بين الأذان والإقامة**»[2]، وأحسن ما يمكن أن يُدعى به في هذا الوقت: اللَّهم إني أسألك العافية في الدنيا والآخرة.

وكذلك من أوقات الإجابة:

عند نزول المطر وعند الجهاد في سبيل الله، ويوم عرفة، وعند رؤية الكعبة، وعند الطواف، وعند الملتزم، وعند ختم القرآن.

كما أشار النبيﷺ إلى بعض من تستجاب دعواتهم وذكر منهم الإمام العادل يقولﷺ:

«**دعوة الإمام العادل لا ترد**».. وكذلك دعوة الصائم، إذ قالﷺ: «**للصائم دعوة لا ترد**».. وكذلك دعوة المظلوم، إذ يقول عنها النبيﷺ: «**ليس بينها وبين الله حجاب، يرفعها ربنا عز وجل إلى السماء ويقول: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو**

(1) رواه مسلم (الحديث: 1084) وأبو داود (الحديث: 878).

(2) رواه أبو داود (الحديث: 521) والترمذي (الحديث: 212).

بعد حين»[1]، وكذلك دعوة المسافر، ودعوة الوالد على ولده، ولهذا يجب على الآباء والأمهات ألا يدعوا على أولادهم لئلا تصادف الدعوة ساعة إجابة..

وكذلك دعوة الأخ لأخيه بظهر الغيب، إذ توكل عند رأس الداعي ملك يقول له: «**آمين، ولك مثله**»! ولهذا فإن المسلم الذكي إذا كان له حاجة يدعو لإخوانه بظهر الغيب بأن يقضي الله حاجاتهم، وهو بهذا يكون كمن ضرب عصفورين بحجر كما يقال، فيكون ضمن الإجابة وأثيب على الدعاء لأخيه! وكذلك دعاء الولد لوالده بعد موته.. وكذلك الدعاء على أعداء الإسلام، وربما يؤخر الله الإجابة إلى وقت معلوم.

وهناك أمثلة كثيرة من السيرة لدعوات مستجابة كدعوة سعد بن أبي وقاص على الرجل الذي افترى عليه وظلمه من أهل الكوفة واسمه أسامة بن قتادة، إذ قال عنه: إن سعدًا لا يعدل في القضية (أي في الحكم) ولا يحكم بالسوية ولا يسير في السرية (أي لا يشارك في القتال)، فقال سيدنا سعد رضي الله عنه: اللَّهم إن كان عبدك هذا كاذباً قام رياء وسمعة، فأطل عمره وأطل فقره وعرضه للفتن.

يقول عبدالملك بن عمير أحد رواة الحديث: فلقد رأيت هذا الرجل سقط حاجباه من الكبر وهو يغمز للجواري في

(1) رواه الترمذي (الحديث: 3598) وابن ماجه (الحديث: 1572).

الطرقات، فإذا سئل عن ذلك قال: شيخ كبير مفتون أصابتني دعوة سعد!!

والأمثلة غير هذا كثيرة.. وليس هذا مجال ذكرها.. وكذلك من أصحاب الدعوات المستجابة العبد التائب من الذنب المقبل على الله؛ فعند حضور القلب وقشعريرة البدن وبكاء العين يقبل الله الدعاء.

obeikandl.com